و للروح ارتواء

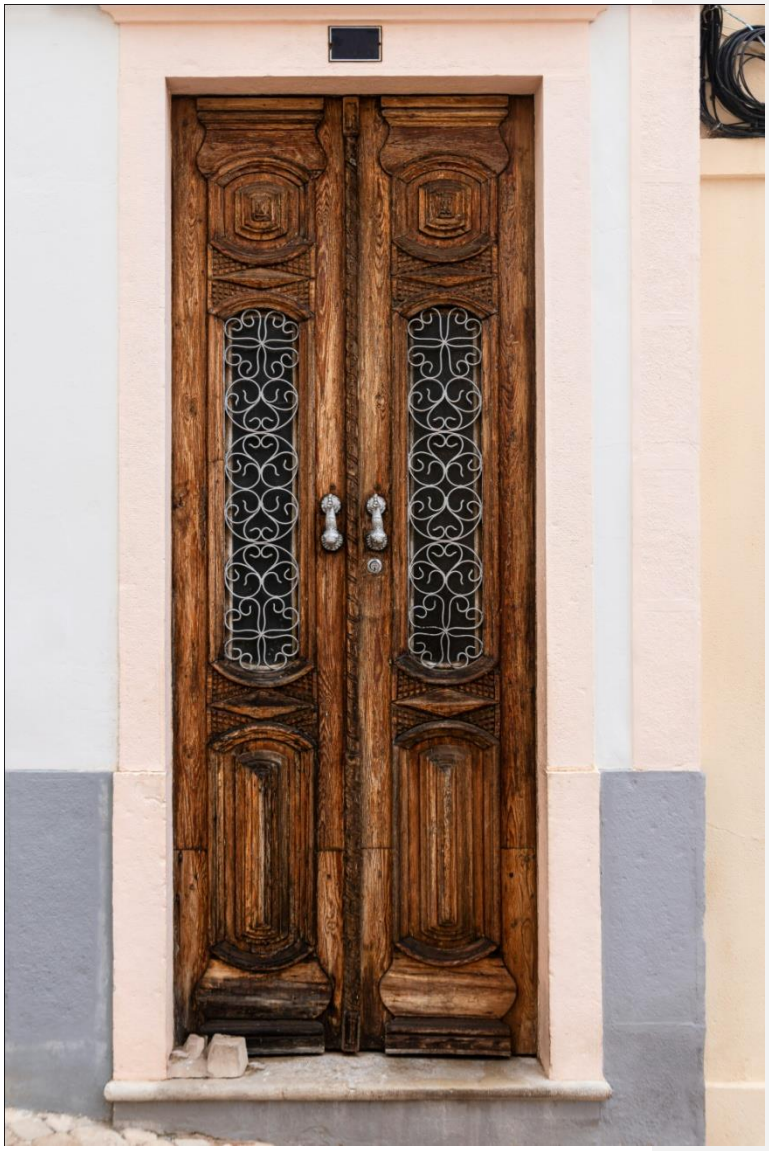

تفريغ محاضرة

لماذا نعلم ولا نعمل؟

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٦/ ٢/ ١٤٤٣ هـ

(لماذا نعلم ولا نعمل؟)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدهِ الله فلا مُضل ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا رسول الله ، أما بعد ..

كثيرًا ما نتعرض لمواقف يكون فيها شيء من التعارض بين الحق والباطل أو بين الخير والشر وتتعرض أنت لهذا الموقف ويتطلب منك اتخاذ قرار الآن وفي هذه اللحظة فإما أن تقدم أمر الآخرة وإما أن تقدم أمر الدنيا .. إما أن تقدم أمر الله - عز وجل - وإما أن تستمع لأمر الشيطان، **فأنت ماذا تختار في هذه اللحظة ؟** الغالب بإذن الله أن يختار الناس ما يريده الله عز وجل، ولكن هناك مواقف كثيرة نعرف فيها ما يرضي الله - عز وجل - ونعرف حكم هذا الشيء ومع ذلك لا نُقدّم ما عند الله - عز وجل - بل نُقدّم أهواء الشيطان وما يريده، ونعرف أن هذا الأمر حرام يترتب عليه غضب من الله أو حتى لعن من الله - عز وجل - ومع ذلك نفعله مع سابق الإصرار والترصد .

هذه المواقف الذي نتعرض لها تجعل الإنسان يتساءل أحياناً **لماذا نعلم ولا نعمل؟** ولماذا نعرف كثيرًا من المعلومات من أحاديث وآيات من القرآن ومواقف للصحابة رضوان الله عليهم سواء بأمرهم للمعروف أو نهيهم عن المنكر ومع ذلك لا نعمل بذلك العلم الذي نحفظه بصدورنا،
ولذلك هذا يستدعي منا وقفة محاسبة ويستدعي منا في كل مرة نبدأ فيها سنة جديدة أو يمضي من عمرنا سنة، تنتهي سنة وتبدأ سنة لا بد لنا من هذه المحاسبة ماذا عمِلنا بما علِمنا ، ولذلك العلماء رضوان الله عليهم كثير منهم من ألفوا بهذا الكلام وألفوا مؤلفات بنفس هذا المسمى اقتضاء العلم العمل، فالعلم يقتضي أن نعمل به ولا خير في أي علم نتعلمه دون أن نعمل به ولذلك ممكن أحياناً تُقرأ علينا آيات أو سور من القرآن الكريم ثم لا نجد أن هذه السور من القرآن عملت عملها في قلوبنا رغم أن الله - عز وجل - يقول : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾(الحشر:٢١)، أي: **إن هذا الجبل يتكسر و يتشقق ويُهدم خشية من الله - عز وجل - بهذه الآيات، فكيف بقلوبنا التي لا تتجاوز حجم الكف ومع ذلك تصمد لهذه الآيات من القرآن الكريم !**

هذا يعني أن هناك قسوة في قلوبنا وهناك شيء ما لا نعمل به ولا يولّد عندنا هذا الإحساس وهذا الإيمان، ولذلك الله - عز وجل - ينادي المؤمنين فيقول لهم : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا** ﴾**(النساء:١٣٦)**، ونلاحظ الوصف هنا أنهم مؤمنين، أي إنه لا يكتفي الوصف بأنكم مؤمنون ولا أنكم تعلمون الإيمان لكن لابد لكم أن تقوموا بعمل الإيمان وأن تقوموا بشعائره، ويقول الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾**(الصف:٢)**، لماذا كلامكم أكثر من فعلكم ولماذا أنتم تعلمون الشيء وتعرفونه معرفة نظرية لكن عندما يأتي العمل والتطبيق لا تعملون به، فمتى يرحل الإنسان من بلد إلى بلد أو من مكان إلى مكان أو حتى حين يُغيِّر مجلسه من مجلس إلى مجلس كأنه يلبس وجهًا آخر وشخصية أخرى والحلال يصبح حرام والحرام يصبح حلال، فما الذي حصل؟ هناك شيء نفتقده.

ولذلك عندما قال الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾**(الحشر:١٨)**، نلاحظ الآن الله - عز وجل - ينادي المؤمنين بوصفهم أنهم مؤمنون ومع ذلك يأمرهم بالتقوى.

إذن نادانا بالإيمان لكي ننطلق منه للعمل ولا يكفي فقط وصف الإيمان لوحده، الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين نزل عليهم القرآن فهموا هذا المفهوم فلم يكونوا يعلمون العلم لمجرد العلم وإنما كانوا ينتقلون إلى مساحة أخرى للعمل

ولذلك دعونا نرى كثيرًا من أسئلة الصحابة للنبي - عليه الصلاة والسلام - ماذا كانوا يسألونه، هل كانوا يسألونه فقط عن مراتب الجنة؟ هل كانوا يسألونه العمل هذا ما هو عذابه؟ هل كان يسألونه مثلاً كم مراتب الجنة وما هو نعيم الجنة ؟ الجواب : لا ؛ بل كانو كثيرًا ما يسألونه عن العمل تعالوا نرى هذه الأسئلة:

- عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. [أخرجه البخاري، صحيح]

نلاحظ هنا أنه يسأل عن عمل، وكذلك:

-عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : "قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَسَى أَنْ تَمْضِيَ وَأَبْقَى بَعْدَكَ فَزَوِّدْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللهُ بِهِ ..." [أخرجه مسلم، صحيح] ، فهنا هو يسأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأنه قد يذهب ويبقى بعده، فيريد أن يتعلّم شيئًا ينفعه الله به، فهكذا كانت أسئلتهم، يسألون عن علمٍ ينفعهم.

-ويقول عبدالله بن مسعود يا نبي الله : (أي الأعمال أقرب إلى الجنة ؟) ، فهو لم يسأل عن مراتب الجنة ولا نعيمها وهذا كله مشروع فنحن لو كنا موجودين كنا سنسأل رسول الله - عليه الصلاة والسلام - عن البيوت التي يُرى ظاهرها من باطنها سنسأل كيف تكون أرضها من لؤلؤ ومسك وزعفران ونسأل عن هذه التفاصيل، أما الصحابة فلم يسألوا عن هذه التفاصيل ولم تهمهم إطلاقًا، يكفيهم أنها دار النعيم وأنها هي النعيم الذي سينعم الله - عز وجل - به على عباده المؤمنين، ويكفيهم ما قاله النبي - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللهُ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ { فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } [أخرجه البخاري، صحيح]،

فلم يشغلوا أنفسهم بالتخيّل لأنه فوق ما يُتخيل أصلاً ،بل انشغلوا بالسؤال عن العمل؛ يا رسول الله علمني بعملٍ يدخلني الجنة، أو أي العمل أقرب إلى الجنة.

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ : أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تُعِينُ صَانِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ

مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ. [أخرجه مسلم، صحيح] * فانظروا إلى أسئلتهم المهمة، فعندما يسأل أي الأعمال أفضل يعني أنه سيصلي ويصوم ويتصدق ويذكر الله - عز وجل - ويحفظ القرآن فأيهم أفضل؟

- عَنْ طارق بن أشيم أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ، وَآخِرَتَكَ. [أخرجه مسلم، صحيح]، وهو الآن يدعو، فلم يقُل يارب ارزقني مالاً يارب احفظ شاتي ومزرعتي، لم يكونوا يدعون فقط من أجل الدنيا، فالغفران والرحمة تنفعه في الآخرة والرزق والهداية تنفعه في الدنيا .

- عائشة رضي الله عنها سمعت النبي - عليه الصلاة والسلام - كثيرًا ما يتكلم عن فضل ليلة القدر وما فيها من الأجور، هذا العلم الآن الموجود عند عائشة رضي الله عنها حولته إلى عمل فجاءت إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - ولم تكتفِ فقط بأنها عرفت أن ليلة القدر أكثر ليلة تعتق بها الرقاب و أن الدعاء فيها مجاب بل سألت النبي - عليه الصلاة والسلام - عن عمل محدد، قَالَتْ : : يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي[أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حديث حسن صحيح] . تسأل عن التنفيذ، فنفعنا الله - عز وجل - بسؤالها هذا الذي من خلاله عرفنا الدعاء في ليلة القدر.

- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، قَالَ : لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ ، فَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ ، ...." [أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: صحيح] . يعني أنك أن سألت سؤالًا قصيرًا لكنه عريض وجوابه كبير

- عَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللهِ مَرَّتَيْنِ قَالَ: لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ قُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: أَنَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ. قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ قَالَ: لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً .... [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]

المستفاد هنا أن الصحابة كانوا يأتون إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - وكل واحد منهم يسأل عن عمل يدخل به الجنة

-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مُرْنِي بِصِيَامٍ . قَالَ : صُمْ يَوْمًا ، وَلَكَ أَجْرُ تِسْعَةٍ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، فَزِدْنِي. قَالَ: صُمْ يَوْمَيْنِ، وَلَكَ أَجْرُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً ، فَزِدْنِي. قَالَ: فَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَكَ أَجْرُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ. قَالَ: فَمَا زَالَ يَحُطُّ لِي حَتَّى قَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ، أَوْ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ - شَكَّ الْجُرَيْرِيُّ - صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ لَمَّا ضَعُفَ: لَيْتَنِي كُنْتُ قَبِلْتُ بِمَا أَمَرَنِي بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [أخرجه أحمد في مسنده، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح]

عَمّر عبدالله بن عمرو إلى الثمانين سنة وتسعين سنة وهو ماضٍ في صيامه هذا لم يتركه، فكانوا يتعلمون

العلم للعمل ويثبتونه في حياتهم، ومع أنه كبر وشق عليه الصيام ولم يعُد كما كان في شبابه، ومع ذلك يقول: ليتني أخذت برخصة النبي - عليه الصلاة والسلام-.

إذًا كانوا يأخذون العلم للتنفيذ ولا يأخذونه فقط للاستزادة، ولذلك قال الله عزّ وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾(النساء:٦٦). إذًا ليست القضية فقط أن نتعلم العلم لمجرد السماع أو لمجرد ترقيق القلوب أو لمجرد أن اليوم هو يوم الإثنين ولدي وقت زائد سأستفيد منه في الاستماع لمحاضرة من غير العمل، لا بد أن تكون النيّة حاضرة.

قيل للإمام أحمد إلى متى وأنت تحضر حِلَق العلم؟ الإمام أحمد عمّر إلى الثمانين سنة وكان يأخذ محبرته وهو شيخ تلاميذه فيذهب إلى حِلَق تلاميذه فيثني ركبته عندهم ويسجل وهو الذي علمهم أصلًا، لكنه يجلس مثل التلميذ عند تلميذه فيستمع منه، فكانوا تلاميذه يقولون يا إمام إلى متى؟ يعني إلى متى أنت تحضر؟ فكل هذا العلم موجود في صدرك، فقال الإمام أحمد كلمة مهمة جدًا،

قال: **لعلّ الكلمة التي تنجيني لم أسمعها بعد**.

الكلمة التي ستنجيني من عذاب القبر وتدخلني الجنة التي سيتنزل رضى الله - عزّ وجل - علي بها، لعلّي لم أسمعها بعد، فقد تكون هناك كلمة يفتح الله على قلبي بها يرزقني الله - عزّ وجل - الهداية والتوبة النصوح، فهو مستمر في التلقي إلى أن ينجو، ولذلك هذا الشيء هو منهجنا في التعلم أننا نتعلم لنعمل وليس التعلم لمجرد الاطلاع أو الثقافة أو الاستزادة أو أني أنهيت مئة كتاب في شهر أو أن عندي هذا الكم من المعلومات أبدا وإنما هو من أجل التنفيذ.

إذًا دعونا نحاول الإجابة على هذا السؤال، **لماذا نعلم ولا نعمل؟**

الجواب على هذا السؤال يكمُن في مجموعة كبيرة من الأشياء، لكن دعونا نحددها بعشرة إلى اثنتا عشرة نقطة نحاول أن نستعرضها اليوم، وخلال هذه النقاط سنأخذ السبب وفي طياتها سنأخذ العلاج معها:

الأسباب التي تجعل الإنسان لا يعمل:

السبب الأول:

عدم استشعار الأجر المعقود على هذا العمل .

فأن تعمل العمل، عملك هذا تترتب عليه أجور عظيمة، وكونك لا تعرف الأجر يجعلك زاهدًا بهذا العمل، ولذلك عندما نقول أن العلم من أجل العمل أنت عندما تسمع شيئًا كأن تحضر حلقة علم أو تسمع درسًا، عادةً ما تربطه بوقت معين كأن تستمع لنصف ساعة مثلًا، ولكن المطلوب هو أن تكون نيتك العمل، وألّا تخرج من هذا الدرس إلا بشيء جديد تتعلمه وتعمل به، فلو كانت حلقة قرآن أو حلقة حفظ أو حلقة صحيح البخاري أو أيًّا كان، يجب أن تكون نيتك ألّا تخرج من هذه الحلقة بمجرد معلومات بل أن تخرج منها بعمل، الذي يأتي بهذه النفسية يكون تركيزه وهو

يسمع الكلام على تسجيل العمل الذي بإمكانه تطبيقه وإضافته لجدوله، فلو استشعرنا الأجر الذي نحصده من العمل لثَبتنا عليه ولما زهدنا فيه.

وعندما نقول دائمًا ونكرر في دروس كثيرة عن الخطة الشخصية أو كيف يتغير الإنسان أو كيف يمحو الإنسان ذنبه في دروس كثيرة كنا دائمًا نبدأ في نقطة أولى هي في العلم، دائمًا نبدأ بالعلم ثم نتبعه بالعمل، فدائمًا ندور حول فكرة أولى: **أن الإنسان عدو ما يجهل**، فأنت لا تستطيع أن تطبق شيئًا طالما أنك لم تعلمه، إذن حضورك لهذه الحلقة أو التزامك بأي حلقة أخرى تعني أنك تريد أن تعرف وتتعلم هذه الأجور وكيف تعبد الله - عزّ وجل -، فهكذا نستدل على الطريق، وهو ليس هوى نفس، شروط قبول العمل شرطان:

1. الإخلاص
2. المتابعة

فالإخلاص ألّا يكون الذي تعمله رياءً، والمتابعة أنك تعمل العمل ليس وفق ما يهوى مزاجك ولا وفق ما يهوى الناس، أن تتابع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيف أدى ذلك العمل، وكيف نتابع وكيف نبدأ في عمل دون أن نعرفه؟ إذًا القضية الآن أننا نريد أن نعرف الأجر حتى نعمل بما نعلم.

دعونا نرى مجموعة من هذه الأحاديث، عندما نقول أنه لا بد أن يكون لك ورد من القرآن وهذا الورد من القرآن ليس أقل من وجه أو ثلاثة أوجه، جزء أو ثلاثة أجزاء، كل إنسان بحسب مقدرته، ورد من القرآن يعني أن مصحفك هذا يجب أن يكون في غرفتك، سواء في جوالك أو غيره، وفي الدوام، أثناء ذهابك أو عودتك من الدوام، في وقت فراغك، عندك ورد من القرآن، فلو كان عمرك الآن في العشرين، ثلاثين، أربعين، أو ستين فالمفترض وردك من القرآن يزيد معك، فحينما يصل عمرك للأربعين والخمسين وأنت لا تزال تقرأ صفحة أو صفحتين في وردك، فبماذا تفنى الحياة؟ بماذا أنت مشغول إن لم يكُن لديك وقت للقرآن؟ هل ترى القرآن ثقيلًا عليك؟ دعونا نستحضر هذه المعلومة، قال عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ (الم) حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ . [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح] فعشر حسنات ليست لكل كلمة، العشر حسنات لكل حرف، الآن كم حرف موجود في القرآن الكريم؟ ما يزيد على ثلاث مئة ألف حرف، فنحن هنا نتحدث عن أكثر من ثلاثمائة مليون من الحسنات، فتخيل كم لك من الحسنات في كل جزء تقرؤه؟

وكما ذكرنا سابقًا وهذه جملة يجب أن نكررها كثيرًا كي لا ننساها" **أن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي** "فهو ليس مجرد مشاعر كأن يريد الإنسان أن يصبح متدين، لا أبدًا فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، إذَن هذه الثلاثمائة حرف التي تحولت إلى ملايين من الحسنات نحن لا بد أن نعرف أن هذا الإيمان يزيد وينقص؛ وقد تمر بالإنسان مراحل يشعر فيها بثقل كأن تثقل عليه صلاة الفجر أو قيام الليل أو صيام الإثنين والخميس فيجب عليه أن يبادر بزيادة منسوب الحسنات، فهذه معاملة سهلة أن تعالج نفسك بهذه الطريقة فتعوض النقص بشيء آخر كأن تزيد وردك من القرآن فتقرأ جزئين أو ثلاثة وستجد نفسك بنهاية الأسبوع قمت الليل وأنت نشيط

فقد زاد عندك منسوب الحسنات ونقصت السيئات فعندما يستنير القلب تسهل الطاعات والحسنة تجر أمثالها فعاون نفسك بهذه الحسنات

كثير من الناس تستشير وتسأل بسبب ذنوب تؤرقهم، وهناك أعمال بسيطة سأذكرها الآن إذا فعلها الإنسان يغفر الله - تعالى - له ما تقدم من ذنبه، وما هي المغفرة؟ أن يمسحها الله - عز وجل - **فتخيل أن يغفر الله لك كل الذنوب السابقة، الخلوات والذنوب والمعاصي كلها يغفرها الله - عز وجل - تمامًا، بماذا؟**

١. بأن يتوضأ المرء وضوءً صحيحًا ويصلي ركعتين لا يُحدّث فيهما نفسه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. [أخرجه البخاري، صحيح]

٢. بأن يكون المرء في صلاة جماعة، سواء في المنزل أو في المسجد، فيقول الإمام آمين، فيقول المرء آمين فإن وافق تأمين الملائكة غُفِر له ما تقدّم من ذنبه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ". وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: آمِينَ[أخرجه البخاري، صحيح]

٣. بأن يقول المرء بعد أن يأكُل: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " [أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: حسن]

هذه أجور عظيمة، لذلك معرفة الأجر يحفّز الإنسان، فتراه إن نسي الحمد بعد الطعام ذهب يأكل لقمة أخرى كي يحمد الله - تعالى - بعدها ولا يفوته الأجر.

فالإنسان الذي يحرص على تلمّس الأجور، تأتيه هذه الأجور.

ابن عمر رضي الله عنه جاءهُ خباب فقال له: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ خَرَجَ مَعَ جِنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا ، وَصَلَّى عَلَيْهَا ، ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنْ أَجْرٍ ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ، ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ فَأَرْسَلَ ابْنُ عُمَرَ خَبَّابًا إِلَى عَائِشَةَ يَسْأَلُهَا عَنْ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، فَيُخْبِرُهُ مَا قَالَتْ ، وَأَخَذَ ابْنُ عُمَرَ قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءِ الْمَسْجِدِ يُقَلِّبُهَا فِي يَدِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ، فَقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ : صَدَقَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَضَرَبَ ابْنُ عُمَرَ بِالْحَصَى الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ لَقَدْ فَرَّطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ [أخرجه مسلم، صحيح]

ابن عمر يعرف أن ضربه للحصى لا يعني شيئًا ولكنه ضربه حسرة عندما عرف هذا الحديث فقد كان يصلي ويرجع ولم يعلم أن هناك أجر لمن يتبع الجنازة حتى تُدفَن، الأمر الذي قام به عندما ضرب بالحصى، هو لم يضربها ليراه أحد فلم يكن هناك شخص حاضر أصلًا، لكن ضربها تحسرًا أنه لم يعرف هذا الحديث من قبل، فتخيلوا معرفة الأجر ماذا تفعل في الإنسان وكيف تجعله يحاول أن يُثبّت هذا العمل.

أما **الزهد بعدم معرفة الأجر يجعل الإنسان يزهد بالعمل فلا يُطبق ما يعلم.**

السبب الثاني:

التقصير في الواجبات يؤدي إلى الإعراض عن المستحبات.

البعض يقول أنه يكتفي بالواجبات ولا يستطيع القيام بالسنن، ولكن تطبيقه للواجبات مهلهل، فلا يصلي الصلاة بخشوع وتأني ولا يستلذ بها، فيصلي صلاة سريعة، فلا هو أجاد الصلاة ولا هو رقّعها بالسُّنن، فلماذا نصلي السنة؟ لنُرقّع بها ما نخرق في الصلاة، ونسد بها النقص الذي حصل في الصلاة، إذن كيف تكون مكانة السنن والمستحبات عندنا ضئيلة؟ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتلمسون الذي يفعله النبي -عليه الصلاة والسلام - دون أن يعرفوا هل هو سنة أو هو واجب، فليس هذا المهم، المهم أن النبي - عليه الصلاة والسلام -فعله إذن هم يفعلونه.

عَنْ زِيَادِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَنَاخَ بَدَنَتَهُ يَنْحَرُهَا ، قَالَ: ابْعَثْهَا قِيَامًا مُقَيَّدَةً ، سُنَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [أخرجه مسلم، صحيح] الإبل إذا جاءت تُنحر، سنة النبي - عليه الصلاة والسلام - ألّا يطرحها أرضًا مثل ما يفعل مع الشاة وإنما تُنحر وهي قائمة، وتُعقل قدمها اليسرى لكي لا تتحرك فيكون هذا أدعى لراحتها وأيضا أغزر في خروج الدم الفاسد، فقول ابن عمر هذا بعد عشرات السنوات من وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام - هو حِرص على اتباع السنة وتعليمها.

عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ: { إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ } فَسَجَدَ، فقلت لَهُ ، قَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ. [أخرجه مسلم، صحيح] العتمة: صلاة العشاء، صلى بها مرة واحدة مع النبي - عليه الصلاة والسلام -، سمع الرسول - عليه الصلاة والسلام - يقرأ سورة الإنشقاق في صلاة العشاء فأثبتها عنده، فصار بين فترة وأخرى يقرأ بهذه السورة مثلما سمعها، اسمعوا لهذه الكلمة عندما قال: (فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه) كانوا يتعاملون مع هذه السنن بهذه الطريقة فلا يتركونها حتى يلتقوا مع النبي - عليه الصلاة والسلام - عند الحوض.

ولذلك أشد الناس حبًّا للنبي - عليه الصلاة والسلام - هم أشد الناس اتباعًا لسنته، فالحب ليس بالاحتفال بالمولد أو غيره دون اتّباع سنّتِه، فهذا حب الكذابين، الحب الحقيقي هو أن تُغيّر حياتك بتفاصيلها إلى أن تتبع فيها سنّة النبي - عليه الصلاة والسلام-.

متى كانت آخر مرة قرأت فيها شيئا في الشمائل؟ متى كانت آخر مرة رجعت لترى كيف عاش النبي - عليه الصلاة والسلام-؟ من أجمل الكتب التي ممكن أن تُقرأ كتاب اسمه "الشمائل المحمدية"، الكتاب كله عبارة عن وصف النبي - عليه الصلاة والسلام-، كيف ضحك، كيف كان يتكلم، كيف كان يمشي، كيف كان يمد يده، كيف كان يلتفت للناس، مستحيل أن تخرج من هذا الكتاب إلا وقد تغيّرت طباعك؛ لأن حبك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجعلك تتغير وتتمنى أن تصبح مثله، فترى أخلاقك تغيرت ومشيتك تغيرت وابتسامتك تغيرت و حتى تعابير وجهك تغيرت، لم يكن يُرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وهو مبتسم، كان الصحابة كلهم كل

واحد منهم يشعر أنه هو أغلى وأحب الناس إلى النبي - عليه الصلاة والسلام -، يقول عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ" فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا" قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ" فَعَدَّ رِجَالًا. [أخرجه مسلم، صحيح] ، فيقول عمرو بن العاص حتى خشيت ألا يذكر اسمي، سأل النبي - عليه الصلاة والسلام - هذا السؤال لأنه كان يظن أنه عندما يقول له من أحب الناس إليك سيقول أنت، كان يظن هذا الشيء من معاملة النبي - عليه الصلاة والسلام- له.

والأخلاق كيف تتغير؟ عندما تعرف أن هناك قدوة أعلى في حياتك، فأخلاقك لا تكون حسب ما يريده الناس ولا حسب ما يهواه الناس ولا تنكيدًا للناس، فإذا عاملني شخص بطريقةٍ ما فأنا لا أعامله بالمثل، أخلاقنا نؤجر بها كلما اتبعنا فيها سنة النبي - عليه الصلاة والسلام-.

ولذلك عندما نقول أن تقصيرنا في الواجبات يُبعدنا عن هذه المستحبات فيجعلنا نزهد في العمل، فيجب ألا نعبد الله - عز وجل - على الخط الأخير، ولا نجعل عبادتنا دائمًا على الخط الأخير فلا يكون بيننا وبين النار إلا شيء بسيط، كأن يكتفي أحدنا بالصلاة الواجبة فإن تركها سقط في النار، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ -أي الكفار-الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ. [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح]، هناك فرق بين الإنسان الذي تصيبه الفترة وتصيبه قساوة القلب فيترك سنة، كان يصلي الوتر مثلًا 11 ركعة فصار يصليها 3 ركعات، وبين إنسان لم يكُن يُصلِّي الوتر فلما قسى قلبه ترك الفجر أصلًا أو صار يجمع الصلوات مع بعضها، فهناك فرق بين أن تأتيك هذه الفترة التي يضعف فيها الإنسان فتترك السنن وأن تأتيك فتترك فرائض، ولهذا دائمًا نقول لا تعبد الله - عز وجل - على الخط الأخير، واجعل بينك وبين النار حاجزًا ومسافة من أعمال صالحات ومن المستحبات.

ولذلك من يزهد بحب الله - عز وجل - له؟ الله - عز وجل - يقول في الحديث القدسي: (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، ...) [أخرجه البخاري، صحيح]، فالإنسان يجب أن يتلمس الأمور التي يحبها الله - عز وجل - فيزيد منها، لا كما يفعل البعض فيقول هذا فيه خلاف بين العلماء وهذا فيه جمهور ويعبد الله - عز وجل - على الخط الأخير، لا، بل أي شي يعلمه يجب أن يأخذ الأفضل والأحسن، (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، ...) [أخرجه البخاري، صحيح]، أي أن الله يحمي جوارحه كلها فلا يرى ولا يسمع ولا يبطش ولا يمشي إلا بذمة الله - عز وجل-.

السبب الثالث:

العيش في أوساط سيئة أو أوساط أقرب إلى الشر.

فنعيش في هذا الوسط الذي يُزهدنا في عمل الخير فكلما أردت أن تبدأ بعمل شيء ما، يأتي أحدهم فيقول لك لا تفعل وهذا مبالغة، فهذه الأوساط السيئة التي نعيش فيها تجعلنا نزهد في عمل الخير،

وهنا نتذكر القصة التي ذكرناها سابقًا عن الفتاة التي تذهب للنادي الرياضي بلباس ساتر يستر كل منطقة العورة فمن استمراء الباطل بدأ الناس ينصحونها عندما رأوها تلبس لباس طويل إلى الركبة فيقولون لها أن هذا اللباس غير ملائم للرياضة وأنه مُتعِب، ومن الذي قال بأن لباسكم الأشبه بملابس داخلية لباس صحيح؟ لو كان الموضوع موضوع راحة لرأينا الناس لا تلبس ثياب ولأصبحنا مثل البهائم، لكن هناك فرق بين الإنسان الذي كرَّمه الله - عز وجل - وبين الذي يجعل نفسه هو والبهيمة على حد سواء، فإذًا الوسط الذي نعيش فيه يعطينا دافعية إما إلى فعل الخير وإما إلى فعل الشر.

ولذلك من المهم أن نعرف أن الزمن الذي نعيش فيه الآن ليس هو الزمن الذي عشناه قبل 10 سنوات ولا قبل 20 سنة، هناك دفق لا منتهي من الشهوات ومن المحرمات التي فتحت على الناس من كل الأبواب، ومن يستمع للناس وقصصهم وما يحدث في البيوت يعلم أن هناك شر مستطير فُتح على الناس من كل العالم، وهذا ليس في بلد دون بلد بل على مستوى العالم كله هناك انتكاسة بالفطرة لم تسبق للبشرية أن وصلت إليها، انتكاسة فطرية وفسق ومجون وصل فيه البشر إلى مراتب متعدية.

و**هذا كله لا يعطي مبرر للإنسان ألا يتغير للأفضل**، عاش النبي - عليه الصلاة والسلام - في أسوأ وسط ممكن نعيش فيه، مع أناس يسجدون ويطوفون حول تمر إذا جاعوا أكلوه وإذا شبعوا عملوا بالتمر صنم ووضعوه أمامهم وقالوا هذا إلهنا ويسجدون له ويركعون له فإذا جاعوا أكلوه، فأين عقولهم؟ تخيل أن تضع أمامك بطيخة وتعبدها طوال الوقت فإذا جعت أكلتها!، فإذا بك تريد إله جديد فتذهب لتشتري بطيخة أخرى وتضعها أمامك لتعبدها، فأين عقلك؟ أين عقولهم يومئذ؟

وكان فيهم أبو الحكم وأبو طالب وأناس هم النوابغ حتى في الشعر وأشعارهم حتى معلقات عُلِّقت فأين عقولهم يومئذٍ؟ وعاشوا في ذلك الوسط الفاسد يئِدون فيه البنات ويأكل القوي فيهم الضعيف، وسط مليء بربا الجاهلية وتبرج الجاهلية، شيء من الفسق والمجون لم يسبق للبشرية ولذلك قال النبي - عليه الصلاة والسلام-: (... ثُمَّ إِنَّ اللهَ [عَزَّ وَجَلَّ] (2)نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ ، عَجَمِيَّهُمْ وَعَرَبِيَّهُمْ ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...) [أخرجه أحمد في مسنده، وقال المحقق: إسناده صحيح]، هذا في وقت قريش والجاهلية التي لو قارناها بما تفعله البشرية اليوم فلا مقارنة، فعلى الأقل كانت عندهم مكارم الأخلاق، كان عندهم الكرم والشجاعة والشهامة، الآن أي شخص فيه مكارم الأخلاق يقولون له إن لم تكن ذئبًا أكلتك الذئاب.

فالوسط الذي نعيش فيه ليس مبرر ويجب ألا يتعذر أي إنسان بسوء هذا الوسط، فهناك متسع أن يتغير كما تغير النبي - عليه الصلاة والسلام -، ولاحظوا أنه جلس 13 سنة في مكة والمسلمون يخفون دينهم ومع ذلك لم يمنعهم من التغيير ولم يقل: نحن أناس مستضعفون ولا نملك قوة ولا نستطيع أن نتغير، أبدًا لم يكن ذلك عذر.

الملكة التي جاءت إلى نبي الله سليمان - عليه السلام -، بلقيس كما يقال، عندما جاءت إلى سليمان - عليه السلام - يقول الهدهد: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾(النمل:٤٣)، أي أنها لم تؤمِن لأنها كانت من قومٍ كافرين يسجدون للشمس، هذا بالرغم من أنها كانت امرأة لها عقل كبير وراجح وواضح من تسلسل القصة أنها كانت امرأة ذات عقل، ومع ذلك يقول الهدهد كيف أن هؤلاء صدهم ما كانوا يعبدون من دون الله، فكانت من القوم الكافرين.

إذن كيف يرشدنا الله - عز وجل - للتغلب على هذه المشكلة؟

عندما يكون الوسط فاسدًا ويكون المجتمع فيه شر كثير، يوجد خير ويوجد أشخاص صالحون ولكن الشر يعم والخير يخص، فيرشدنا الله - عز وجل - فيقول: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (الكهف:٢٨)،

هذه الآية نقرأها أسبوعيًا في كل جمعة، سورة الكهف نرى فيها دروسًا ومنهج حياة، وقد تكلمنا من قبل عن سورة الكهف بفوائدها كاملة، فسورة الكهف فيها من الفوائد الشيء الكثير ولها منهجية ترى كأنها ترتب حبل أفكارك في كل أسبوع، منها هذه الآية، أن اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم، لا في المساجد والحلق فقط ولا في مدرسة تحفيظ قرآن فقط، بل يدعون ربهم في كل آن في الغداة والعشي، بالفجر وبالليل والظلام، فهم طوال الوقت يدعون الله عز وجل، وفوق هذا كله يقول الله - عز وجل-: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾(الكهف:٢٨)،

وهذا أمر، إذا كان صاحبك أو الوسط الذي تعيش فيه وسط غافل وسط لا يذكرك بالله - عز وجل - وسط يُخرِج أسوأ ما فيك، فتكون أنت تبذل جهدك وتحاول ألّا تفعل أمرًا سيئًا فتذهب مع هذه المجموعة فيُخرِجون أسوأ ما فيك، سواء في الأخلاق أو أنهم يستجرون فيك ملذاتك وشهواتك فيخرجون أسوأ ما فيك، انتبه على حياتك وكن عليها أحرص من أي إنسان آخر، قد يكون لم يبقَ من العمر مثل الذي مضى، فيجب أن نستعد: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(الكهف:٢٨).

يقول النبي - عليه الصلاة والسلام - عن نوع من أنواع الرفقة: (عَنْ أَبِي مُوسَى : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ ، إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ ، أَوْ قَالَ: الْعَدُوَّ ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ) [أخرجه البخاري، صحيح]، رفقة الأشعريين هم موكب، وفد من الأشعريين من أهل اليمن يأتون إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - في المدينة بين حين وآخر، يقول النبي أنه يعرف منازلهم في ظلام الليل من غير أن يعرف خيامهم أو أين نزلوا من أصواتهم بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل، فهؤلاء ناس يقرؤون القرآن بالليل،

فنلاحظ هنا بماذا عُرفت هذه الرفقة؟ هناك فرق بين الرفقة التي تُعرَف بهذا العمل وبين الرفقة التي تُعرَف بالطرب أو بشيء قد يكون كله غفلة للقلب.

ولذلك التابعون - رضي الله عنهم - كانوا إذا نزل أحدهم بلدًا جديدًا، يذهبون إلى المسجد يصلون ركعتين ثم يقولون "اللهم إنا نسألك جليسا صالحا"،

وماذا عنك أنت؟ ماذا يهمك حين نزولك لبلد جديد؟ سكن، وظيفة، تيسير أمور الجوازات؟ أما التابعون فهمّهم الجليس الصالح، ولذا من أعظم ما تدعو به الأمهات لأبنائهم وبناتهم الذين ابْتُعِثُوا خارجًا، أن يحفظهم الله ويرزقهم الصحبة الصالحة التي تثبّتهم على الدين، لأن الصاحب ساحب، وإذا تعرف المُبتَعَث على أناس ملاحدة أو أناس مليئين بالشكوك وأصبح الوحيد الحريص على الصلاة فقد ينجرف معهم شيئًا فشيئًا، ويتزعزع إيمانه،

ولذلك من الصعب أن يبقى الإنسان دون رفقة صالحة، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ ، لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ : إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ : يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً. [أخرجه البخاري، صحيح] ، حامل المسك مثل العطار، فكما نذهب إلى العطار ونشتم الروائح الجميلة وقد يضع على يدنا منها، ونحذر من هذا فالمرأة إن تعطرت وخرجت عند الرجال فهذا من الزنا، فعندما يمر أحدهم بهذا العطار يخرج ورائحته طيبة وإذا دخل مكان يسألونه: من أين أتيت؟ لماذا رائحتك طيبة؟ هذا مَثَلُ الجليس الصالح، فعندما تجلس معه في جلسة، تخرج وأنت أهدأ نفسًا وتشعر بأن الدنيا ليست نهاية المطاف، وتتغير نفسيتك، أما جليس السوء كنافخ الكير، وهو الذي ينفخ الفحم، فهذا لا يخرج إلا بالسواد، فتراه ملطخًا بالأسود من فوق ومن تحت، ونحن مشكلتنا بأن هذا الشيء ليس محسوس، لا الذنوب لها رائحة، ولا الجليس الصالح له عطر، ولا ذاك نرى منه الدخان الأسود، لكنها موجودة وتتحول إلى شيء حقيقي يوم القيامة.

ولذلك من أراد البيئة الصالحة يهيِّئها الله - عز وجل - له، فقد يمتحنك الله أنك تركت رفقة سوء لكن لم تجِد رفقة خير، فهؤلاء أهل زوجك وهؤلاء أصدقاؤك من الثانوي فلا تستطيع تركهم أو لا تستطيع ترك عملك فليس لديك عمل غيره، مع أن هذا العمل فاسد ويخرج أسوأ ما فيك، لكن هذا لا أستطيع تركه في الوضع الحالي، فماذا أفعل؟

[من يصدق الله يصدقه] انصح و قاوم، أنت الآن موجود في هذا المكان أهلك ورحمك لا تستطيع الآن أن تتركهم، فانصح وقاوم، انصح بالموعظة الحسنة، لا تملّ من النصح ديدنك في ذلك نوح - عليه السلام-، ولوط - عليه السلام-، اللذان استمرا سنوات طويلة وهما ينصحان أقوامهما ليلًا ونهارًا، سرًا وجهارًا، وفي كل الأحوال، موعظة حسنة، رسالة، مقروء مسموع، أي شيء لكن توصل النصح بأي طريقة كانت، وتقاوم الفساد في نفسك، لا تستسلم، فالمفترض أنك تقاوم ولا تقول هذا مجتمعي، هذه بيئتي وأنا مضطر لأن أكون بهذه الطريقة، وجزء من هذا الكلام ينقلنا إلى السبب الرابع.

السبب الرابع:

العمل في بيئة قد تكون بيئة محرمة.

هذا الأمر الآن كثيرًا ما نتعرض له خصوصًا الشباب والبنات، وليس فقط البنات اللاتي يبحثن عن عمل غير مختلط، إنما الشباب كذلك يبحثون عن عمل غير مختلط، لأن الوضع قد يكون سيئًا جدًا إذا كان البنات والأولاد في مكان واحد بلا حدود ولا قوانين، حدّث ولا حرج من بين كل الأشياء التي قد تحصل،

والفيديو الشهير الذي نشرته وعملت عليه الباحثة الشهيرة جيسيكا - باحثة دكتوراة - عملت على تجربة اجتماعية موجودة، فكانت دراستها عن التواصل الاجتماعي وقضايا التحرش بين المرأة والرجل والعلاقة بينهما، فقامت بعمل التجربة في منهاتن الولاية الأمريكية، وذهبت تمشي لمدة خمس ساعات، بلباس عادي وأمامها شخص معها يصورها بكاميرا سرية، فطوال الوقت بينما كانت تمشي تعرضت لأنواع التحرش من الناس الذين يمشون معها، وكل واحد منهم يرمي علاقة، أعانهم الله إذا كانت هذه الحياة يعيشونها يوميًا،

وبعدها لبست عباءة سوداء وحجاب فتقول لمدة خمس ساعات أمشي في شوارع منهاتن لم يتحرش بي أحد، فعندما نشاهد مثل هذا المقطع، هذا ليس بسيطًا، هذا يعني أن الله - تعالى - الذي خلقنا يعلم ما الذي يُصلِح هذه المجتمعات، فعندما نتحدث عن أوضاع الاختلاط بين النساء والرجال وكأننا نضع الزيت بجانب النار، ثم نقول ليت الذي كان ما كان، فهذه الفطرة التي خلقها الله - عز وجل-، ولهذا أمر الله - عز وجل - ألّا يُضرَب بالخلخال حتى لا يُسمع ذلك الصوت، فكيف إذا تكلمت بصوتها أو تغنجت، فالحياة اليومية في العمل المختلط تبين ذلك، إلا من رَحِم الله.

الله - عز وجل - الذي خَلَق البشر يعلم أن هذا الشيء هو الأصلح للبشر في مجتمعاتهم، فقد يقول الإنسان الحاجة وتوفير العيش، لكن القرآن هو منهج حياة لم يوضع لمجرد القراءة ولا لمجرد الحفظ، هو للعمل به. الله عز وجل يقول:(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا)(الطلاق:٢).

ولذلك قال العلماء عندما فسروا هذه الآية: لو أطبقت السماوات السبع والأرضين السبع على عبد- العالم كله أطبق عليك، الأبواب كلها سدّت في وجهك- **قالوا: لو أطبقت السماوات السبع والأرضين السبع على عبد فاعتصم بالله - عز وجل - لجعل له من بينهن مخرجًا**، والواقع والتاريخ يشهد، فكثير ما تغلق الأمور من كل مكان وتُسَد الأبواب فيأتي الله - عز وجل - بها من عنده من غير موعد ولا سبب، فكل الأسباب انتهت، وكلها أغلِقت وكلها انهارت، ومع ذلك لو يريد الله أن يأتِي بها يأتِ بها.

هذا الأمر مهم أن نتذكره مع أي قرار نريده، فيجب أن نعمل بما نعلم ونكون على يقين أن الله - عز وجل - لن يضيّعنا، وإذا اتَّقيناه سيجعل لنا مخرجًا، و (**من يصدق مع الله يصدقه**).

السبب الخامس:

الرضى بالدون.

فيرضى الإنسان بمستواه - فمثلًا يبين لك أنه حتى وإن كان يحضر دروسًا فهو ليس أفضل شخص في العالم وأنه صاحب ذنوب، ويشاهد أفلامًا ويسمع الموسيقى، فيعطي لنفسه العذر أنه لا يفعل الخير ولا يقدم به، الرضا بالدون يجعل الإنسان مقتنع بنفسه على هذا الحد، وقد قلنا قبل قليل أننا **لا نعبد الله - عز وجل - على الخط الأخير، فلا نرضى بالدون، فهذا يجعلنا لا نعمل لأننا نرضى بالفتات من الأعمال الصالحات التي نعملها**، فأنا طالما عملت هذا الخير وتصدقت بصدقة، أو صليت في ذلك الأسبوع فهذا كافي، وبالطبع هذا غير كافي!

ومن حقنا على بعضنا البعض أن نحاول أن نضم أيدينا مع بعضنا إلى أن ندخل الجنة سويًا، تقول إحدى البنات: فلانة محظوظة لأن أمها لا تقول لها شيئًا - بمعنى تتركها على راحتها-، فهي تكشف وجهها وتخرج وتفعل ما تريد، فقلت لها: هذا خيار لأمها، لكن هناك فرق بين أم ترضى أن تكون ابنتها أي شيء، وبين أم أخرى تريد الدخول مع ابنتها للجنة فيكون منها هذا الإصرار وهذه المحاسبة، فليس الأمر هينًا وسهلًا أن تكون الأم على صلاح وعلى خير وترى ابنتها في وادٍ آخر.

فلا ترضَ بالدون ولا ترضَ بألا يلتفت لك أحد، فليس هذا عذر بل وحتى أنت في بيتك، ولو كنت في أسوأ بيت – امرأة فرعون كانت في أسوأ بيت في العالم - تخيل أنك كنت مكانها، فرعون الذي يقتّل الأطفال، ويقول ما علمت لكم من إله غيري، الذي غَلى ماشطة بني إسرائيل هي وأبناؤها الأربعة في قدر من الزيت حتى خرجت عظامهم منها، ثم كيف وهي زوجته وتعلم أنها زوجة الطاغية والذي لا يتورع عن البطش بأعدائه، ومع ذلك آمنت وأعلنت إيمانها حتى صلبها فرعون، إلى أن ماتت وهي تحت التعذيب وهي تقول: {رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ}(التحريم: ١١)، لم تتراجع عن مبدأها وإنما كانت تنظر إلى السماء وتقول يا رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة، عرفت أن الدنيا ستنتهي، وأن الملاذ الأخير هو عند الله - عز وجل-.

فلا ترضَ بالدون في علاقتك مع الله - عز وجل -، واعبد الله ولو لم يَرَك أحد، واعبد الله في أسوأ بيئة وفي أسوأ مجتمع أو في أسوأ عائلة، رغم أنه لا يوجد شيء أسوأ إنما هناك ما هو خير وشر، لكن أعيننا أحيانًا تضخم الفساد.

السبب السادس:

الخوف من انتقاد الناس.

هذا الأمر يجعلنا لا نعمل لأننا لا نريد أن يتكلم علينا أحد، أن يقولوا مثلا فلان أصبح ملتزمًا، نرى أحدهم يخبر الناس أنه قام بهذا الذنب فيبين لهم أنه إنسان غير خيّر، وكل هذا خوفًا من انتقاد الناس، وهذا لن يعصمه من انتقادهم، كن على ثقة.

عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ.[أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: صحيح]

انظروا إلى الناس التي تبيع دينها، فتوى، كلام ، برنامج، ما يطلبه المستمعون أنتم ماذا تريدون حلال إذن يصبح حلال، انظروا إلى الناس كيف تبيع دينها من أجل الناس من أجل شهرة أو غيرها،

وكيف أن الناس تسلخ ظهورهم وجلودهم لأنهم يعرفون أن هؤلاء الناس متلونين، لماذا؟ لأن من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، والعكس من أرضى الله بسخط الناس- أنا أرضيت الله وأعرف أن أبناء عمي وأبناء خالتي يستنكرون علي أني تأثرت وأصبحت ملتزمًا - أرضى عليه الناس وإن كرهوا، يعني الناس التي تتنمر عليك أو تستهزئ بك وطوال الوقت تخاف منهم، فلما رضي الله وكتب رضاه عليك في الملأ الأعلى فرضي جبريل وأنزل حبّه في الملأ الأعلى على جبريل وعلى الملائكة ونودي في السماء أن الله يحب فلانًا فينزل الله - عز وجل - محبته في القلوب في الأرض، فيرضى عليه الناس وإن كرهوا.

حتى لو كانوا يبينون أنهم يكرهون الملتزمين، لكن هذا الإنسان انشرح له قلبي، هذا الإنسان مختلف، طيب لماذا مختلف؟ لأن حبك ليس بيدك، الله - عز وجل - هو الذي يرزق الحب وهو الذي يضع الكره.

السبب السابع:

أننا لا نُصدِّق بالجنة والنار والحساب تصديقًا يقينيًا.

نعرف الجنة ونعرف النار وأن هناك حسابًا، لكن لا نصدّق بها حقيقة كأننا نراها، عندما سمع الصحابي عمير بن الحمام الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :«قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، [أخرجه مسلم، صحيح]

انظروا كيف قرأ المعلومة، هذا العلم انظروا كيف سيتحول إلى عمل، قال رجاءة أن أكون من أهلها، فكيف هي واسعة وبإذن الله ربي يدخلنا فيها، فكان معه ثلاث تمرات يتقوى فيها وهي كل الذي معه ليدخل المعركة ويقاتل، يحمل سيفه مقدار كم كيلو، ويتقوى بثلاث تمرات معه، فلما جاء ليضع التمرة الأولى فقط ليتقوى بها، قال: لإن عشت حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة. فترك التمرات وقاتل حتى قُتل. أحس أن الحياة طويلة جدًا إذا كان سيفتح التمرة ويأكلها وهو من أهل الجنة، أين المعركة دلوني عليها، فقاتل حتى قتل فدخل الجنة. نسأل الله له ذلك.

إذن القضية أن العلم تحوّل إلى عمل حقيقي، هل نحن نؤمن بالجنة كما آمنوا بها؟! هل نحن نقوم من فرشنا لنقوم لصلاة ليل أو صلاة فجر إلى الإشراق؟ هل الجنة حفت بأرواحنا إلى ذلك، وهل النار خوفتنا، ردعتنا من الحرام وأن ننظر له عندما لا يكون معنا أحد؟ كأن نغلق الهاتف لكي لا نرى منظرًا مع أنه لا أحد ينظر ولكن خوفًا من النار؟

إيماننا الحقيقي عندما يتحول هذا العلم إلى عمل حقيقي، فقد أخذنا دروسًا خاصة عن الجنة ووصفها والنار ووصفها وعذاب البرزخ، العلم موجود وحاضر لمن يريد أن يبحث عنه، والمحاضرات والكتب في كل مكان؛ واقرأ كتب عمر الأشقر عن القيامة الصغرى والكبرى والجنة والنار وعالم الملائكة تجد العلم موجود، الهدف الآن كيف يتحول إلى عمل، كيف يكون هذا الشيء حقيقيًا يردعك عن الحرام ويجعلك تفعل الحلال.

السبب الثامن :

عدم وجود ارتباط حقيقي بالقرآن.

وهذا جزء من السبب السابق مرتبط به، فنحن نقرأ القرآن ونحفظه ونتلوه وقد نتخذه أورادًا، لكن هل نعمل به؟ يقول العلماء: (نزل القرآن لِيُعمَل به فاتخذوا تلاوته عملًا)، وهذا غير صحيح، نؤجر على الأحرف ونؤجر على الحسنات وهذه من أبواب الخير لكن هذا ليس الهدف من نزول القرآن، ليس الهدف فقط قراءته قراءة خالية من العمل؛ بل نزل القرآن لِيُعمَل به.

لذلك عندما تقرأ القرآن وتعمل به فالأمر مختلف تمامًا، عندما تفتح القرآن طالبًا الهدى وليس فقط لإكمال الورد أو الحفظ، أو تفتح القرآن لأن فيك ضيقة صدر أو أنك أمام قرار مصيري لابد أن تتخذه فذهبت وصليت ركعتين واستخرت الله - عز وجل -، لكن صدرك لا يزال غير منشرح، وتريد أن تعرف ماذا تفعل، افتح القرآن وأنت تطلب الهدى، **ومن فتح القرآن طالبًا الهدى هداه الله - عز وجل - ووجد فيه بغيته، ترى الآيات وكأنها تتكلم عن مشكلتك أنت بالذات**، حتى لو كنت تقرأ في آيات أحكام، ترى في نهاية الأحكام (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا)(الطلاق:٢). { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}(الطلاق:٤). هذه الآيات في سورة الطلاق، لأن الطلاق قد يكون أحيانًا من أسوأ المواقف التي قد تتعرض لها المرأة خصوصًا أو الزوجين أو الأسرة بشكل عام، فقد يكون من أسوأ الأشياء؛ لأن فيه مشاعر متضاربة تحصل، فلاحظوا كل الآيات التي يأتي فيها الفرج بعد الكرب وأن من يتق الله يجعل له مخرجًا وأن بعد العسر يسرًا كل هذه جاءت في سورة الطلاق، وقد كتبت فيها أشياء في خواتيم الآيات، فما أن تقرأ من بداية الآيات إلى نهايتها وهي فيها هذه الخواتيم التي مثل البلسم على القلب في ضائقة تمر به.

إذن نحن نتعلق بالقرآن لأنه يجعلنا نعمل به، فدعونا نعرض أنفسنا على القرآن، فعندما تكون أمام قرار مصيري وتحتاج استشارة، دائمًا نكلم أحدًا أو نذهب لأحد لأننا نريد استشارة مباشرة منه، فكّر في يوم أن تفتح القرآن فقد تجد الجواب، ولو فتحته بهذه النفسية ستجد الجواب، فالقرآن له قدرة عجيبة على احتوائنا، واحتواء مشاعرنا، حزننا، وخوفنا ورجائنا، هذه القدرة على الاحتواء أن تأتي للقرآن فتجده معك في لحظة الفرح، تأتيه في لحظة حزن تجده

مثل البلسم على حزنك، تأتيه وأنت مكروب لا تعرف ماذا تفعل تجد الآيات وكأنها تتحدث عنك، القرآن له هذه الصفة العجيبة ولهذا هو معجز.

السبب التاسع:

التَّعلّق بأحاديث الرجاء دون أحاديث الخوف.

وهناك أناس كثيرة مهمتهم الآن التطبيب على قلوب الناس- يا جماعة لا تخافوا أذنبوا وأنتم فرحين، لا أحد يخوفكم من النار، فأنتم ستعيشون مرة واحدة وقد مللنا من خطاب التخويف - فهل النار ذهبت؟ النار التي خلقها الله - عز وجل -، حتى الكفار يحلفون ويقسمون بالنار، بمعنى أنهم يؤمنون بوجودها، نأتي نحن ونكفر بها؟

يأتيك مسلم ويقول: لا والله أنا لا أظن أن النار هي لنا، النار هي لفرعون فقط وأمثاله، ويأتيك آخر ممن يُحسَب على المفكرين الإسلاميين، ويقول: يا جماعة لقد خوفونا من يوم القيامة، يوم القيامة جميل جدًا، ويكاد أن يقول أن الملائكة يكون معهم ورود ويستقبلونكم بالدفوف، ومعهم ورد يوزعونه عليكم! كيف يقول أن يوم القيامة شيء جميل والأنبياء في ذلك اليوم يقولون: اللهم سلّم سلّم..اللهم سلّم سلّم؟! كيف وفي ذلك اليوم كل نبي يحيل الشفاعة إلى من يليه، آدم اشفع لنا عند ربك، فيقول لا، إن الله غضب غضبًا لم يغضبه قط، يذهبون إلى نوح، إلى عيسى ...إلى أن تأتي إلى النبي محمد - عليه الصلاة والسلام-، فكيف يأتي أحدهم ويزعم بأن يوم القيامة جميل؟

القضية أننا لا نعبد الله - عز وجل - بالخوف فقط ولا نعبده بالرجاء فقط، إنما نعبد الله بالخوف والرجاء معًا، فلا نغلّب أحدهما على الآخر} .نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) {الحجر:٤٩ (يتعلقون بآية وهي أرجى آية في كتاب الله) قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)(الزمر:٥٣ (ويغفلون عن أخوف آية في كتاب الله} مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) {النساء:١٢٣ (وقال الله تعالى} :وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) {الزمر (47 :فأنت قد تكون طوال الوقت وأنت تضع أمام عينيك معصيتين، ولكنك نسيت أن هناك سيل كبير من الذنوب ما ظننت أن الله سيسألك عنها.

إذن نحن نعبد الله - عز وجل - بجناح الرجاء والخوف، لكن عندما يأتي بعض الناس ويتحدثون بجرأة بأن الله غفور رحيم، وأنه إن شاء الله لن يعذبنا، وأن الله - عز وجل - خلق الجنة لمن؟ لابد أن يُدخِلنا فيها فنحن مسلمون! وإن كانوا كما يقولون سيدخلونها، وتركنا كل أحاديث الخواتيم، وأن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة وإلى آخره، لكن من يضمن لهم أن لا يمرون على النار قبل دخول الجنة؟ وكم سيكون مرورهم على النار؟ فآخر من يخرُج من الصراط الذي يمشي على النار قيل أنه بعد أربع عشرة سنة، وقيل بعد سبع سنوات، فهل نتخيل سبع سنوات يمر فيها الإنسان على النار؟ حريق النار وأصوات المعذبين تحته، وهو لا يزال يمشي هذا ناجٍ، هذا لم يتعذّب، ولم يسقط في النار، فكيف بأولئك

الذين ذنوبهم جعلتهم يسقطون في النار، ويعذّبون؟! وقال النبي - صلى الله عليه وسلم-:[فتأكل منهم النار كل شيء إلا مواضع السجود] هؤلاء مسلمون ويصلون فتأكل النار منهم كل شيء إلا مواضع السجود، له ذنوب لا بد أن يتطهر منها، فلا يدخل الجنة من غير أن يتطهر من ذنوبه.

السبب العاشر:

طول الأمل والظن بطول الحياة

أظن أني آخر من سيموت من إخوتي، وآخر من يموت من بين أصدقائي، أنا سأدفنهم جميعًا ثم سأموت، أنا كل عائلتي ستموت قبلي، نظن أننا آخر الناس، وننسى أننا ممكن أن نكون أولهم، وممكن أن تكون أنت المعتَبَر به لا المعتبِر.

إذَن ليس لدينا هذه الضمانات ونحن نسمع كل يوم وليلة هذا السيل الجارف من الناس التي تموت، وفي عز شبابهم، تقريبًا لا يمر أسبوع إلا وفيه واحد أو اثنين أو ثلاثة يموتون، وهذا فقط في النطاق الضيق غير من يموت على مستوى العالم، إذن الذي يردعنا عن العمل أحيانًا شعورنا أننا سنعيش وما زال أمامنا أمل، فنقول فقط سأتزوج وأذهب شهر العسل، أو مثلًا فقط السنة القادمة لأن لدي رحلة وبعدها أتوب، ودائمًا نعلق التوبة بشيء ونحن لا نعلم أن هذا الشيء ممكن يكون نهايتنا الأخيرة.

أحد المشايخ في باكستان مات وهو يلقي درسًا على جمهور من الناس، مات وهو يشرح آية قول الله عز وجل:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ..} (الحجرات:٢)، كان يتكلم والمحاضرة مسجلة والكاميرا في وجهه، فأحس فجأة بحرارة فجلس يتكلم ونزع طاقيته رجع إلى الخلف وانتهى، مات.

الحياة قد تكون أقصر من هذا بشيء لا نتخيله، والإنسان الذي يعرف أن حياته قصيرة كيف لا يسابق عمره ويفعل الحسنات ويجمع الخير؟ كيف لا يبحث عن الخير ويعمل أي شيء من أجل أن يكون له عمل صالح؟ أنا وأنت إذا متنا ماذا لدينا من مردود وما هي الأشياء الصالحات التي ستبقى لنا من الحسنات عندما نموت إلى ستمائة سنة؟ سيبكي علينا الناس يومين، شهر، وبعدها الحياة ستستمر، والكل سينشغل مع أهله مثل ما انشغلنا عمن نحب، ومثل ما استمرت فينا الحياة عن أناس كانوا عيوننا التي نرى بها، ومع ذلك استمرت الحياة وضحكنا وانبسطنا، مَن الآن ذلك الذي يسأل عمن دفن في قبره، لا أحد إلا أعماله الصالحات التي دُفِنت معه (أنا عملك الصالح الذي كنت تعمل، أبشر) أو ما خزنه من عمل الخير، صدقاته، صيامه، صلاته، قيام الليل، بالأمس كنت أستمع لأحد من المشايخ أنه (لا شيء يعد لظلمة القبر مثل قيام الليل)، فكما تقوم أنت في قيام الليل في ظلام الليل هذا الشيء ينفعك في ظلمة القبور، وحديث زبيدة عن القيام معروف.

ولذلك طول الأمل يمنعنا عن العمل مع أننا سمعنا ونحفظ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ : بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا .[أخرجه مسلم، صحيح] لو قال لنا أحدهم هذا الكلام قبل عشر أو خمس عشرة سنة لم نكن لِنُصَدِّق، وإلى الآن لا نستطيع تخيل ما سيأتي أيضًا، فنقول الله يستر من الزمن الذي سيأتي.

لذلك بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، أي إنها تظلّم الدنيا لدرجة أنك لا ترى النور، هل هذا حلال أو حرام؟ لا يوجد مشايخ تفتي ولا تبين لهم، فبادر الآن بالأعمال الآن سابق نفسك فتنًا كقطع الليل المظلم.

السبب الحادي عشر:

من الناس من لا يعمل لأنها يرون الصلاح كلًا لا يتجزأ.

فيقول أحدهم إما أن أفعل كل شيء أو لا أفعل شيئًا، فمن البنات من كنت أحاول فيها أن تحضر الدرس، فكانت تقول لا، أنا أفعل كذا وكذا فذكرت ذنبين، فلا أستطيع أن أحضر وأسمع ولا أطبق، فقلت لها أنت لماذا ختمت على نفسك؟ تعالي ممكن أن تسمعي شيئًا أو ممكن أن تعملي خيرًا يزيح عنك عمل السيئات التي تعملينها، هناك أناس كثير تتعامل مع نفسها بنفس هذه العقلية، والصحيح هو أن نفعل الخير وهذا الشر نحاول أن نتركه، لا نعذر له ولا نتعايش معه ونقول عن أمر عادي، لا هذا غير عادي وخطأ، ولكن من الخطأ أيضًا أنك نترك فعل الخير لأننا لا نستطيع ترك فعل الشر! زاحم الشر بالخير، وواحد منهم سيغلب الآخر، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، إن فلانا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق، قال: «سينهاه ما تقول»[أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: صحيح] فنهته صلاته.

إذن لا تختم على نفسك أن كل شيء تفعله يجب أن يكون صحيحًا، ولا ترضَ بالعمل ناقصًا، بل حاول بقدر ما تستطيع، ولذلك فرق بين أن يأتي إنسان يوم القيامة بمئة سيئة، أو يأتي بمائة ألف سيئة من الذنوب لم يكن يحتاج لها، كالنغمة الموسيقية للجوال وهذا شيء لا حاجة له! لكن القضية أن الحرام أصبح كأنه جزء من الحياة اليومية، فتّش في حياتك، الحرام الذي لا تحتاج له أزِحه من حياتك، الشيء الذي يُغضِب الله - عز وجل - أزِحه من حياتك، يوم عن يوم اجعل العمل الصالح يدخل وسترى أنه يزاحم، أنا سأقوم الليل، فأنت لا تستطيع مثلًا أن تسهر على أفلام ومسلسلات لأنك ستقوم الليل، فواحد من العملين سيغلب، لكن لا تدع الشر يغلب على الخير، ولذلك فكرة أن الصلاح كُل لا يتجزأ، فكرة قد تكون معضلة أمام أناس وقد تمنعهم من العمل، ولا نقول مع ذلك خذ من الدين ما تهوى (تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض)، لكن دعنا نقول بأنك مبتلى بمرض في شيء من الذنوب، أدخل الخير الآن بالشيء الذي تقدر عليه، اترك الصغار من الذنوب التي لا تحتاجها، واجعل حربك الآن على الذنبين المؤرقين لك، زاحمهم بالخير، فسيضعفون تمامًا كما نتكلم عن خلايا سرطانية، وتتعالج تتعالج إلى أن تذوب تلك الخلايا، أما إذا تركتها فستنتشر كلها في جسدك.

ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ.[أخرجه مسلم، صحيح]

السبب الثاني عشر:

عدم الإحساس بقيمة المعلومة.

جزء من هذه المعلومة، أننا نعرف العمل ولا نشعر أن المعلومة التي سمعناها غالية، كل الأحاديث التي سمعتها أعرفها، الصحابة كانوا إذا سمعوا الحديث يشعرون أن المعلومة غالية، تذكروا ابن عمر رضي الله عنه ومسكته للحصى وحين رماها وقال: كم فرطنا في قراريط كثيرة.

وأختم هذا الدرس بالنقطة الأخيرة، بأن **السلف لم يتعاملوا مع العلم إلا لأنه بوابة العمل**، يقول المروذي: قال لي الإمام أحمد رحمه الله ما كتبت بيدي حديثًا عن النبي عليه الصلاة والسلام إلا عَمِلتُ به. وقد كَتَبَ أربعين ألف حديث، مسند الإمام أحمد أربعين ألف حديث، ومع الكتاب ومع التحقيق يصلون إلى 27 ألف حديث، فنحن نتكلم عن ما يقارب 27 ألف حديث، يقول هو ما كتبت حديثًا بيدي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا عَمِلتُ به، حتى أنه كتب عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه احتجم وأعطى الحجّام دينارًا- والدينار غالٍ يساوي أربعة جرامات من الذهب- فذهب وجمع مبلغ الدينار واحتجم وأعطى الحجام دينارًا.

لذلك تجد البركة في علمهم، فعندما نقول أن البخاري والإمام أحمد وابن تيمية وابن القيم يأخذون العلم بالعمل به، فلم يكُن الناس ينشرون العلم وهم لا يعملون به، فلا يكون في علمهم بركة ولا زكاء، وكانت علومهم وأحاديثهم تدخل القلب من غير استئذان، فترى أنه يسمع للإمام أحمد لا يريد التغيير إنما لبركة المجلس، فتراه تغير من مجلسه وكم من أناس تابوا في مثل هذه المجالس، لبركة العلم وقد لا يكونون سمعوا الصوت بوضوح.

كان أبو داود السجستاني في النهر فسمع رجلًا عطس وحمد الله، فاستأجر قاربًا إلى أن وصل إليه فشمّته. قال: سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

فإذا قلت لأحد (يرحمك الله) أنت دعوت له، فتدعو لك الملائكة، تطبيق هذه السنة لوحدها أجر، نشر السنة أيضًا أجر، فنأتي نحن بعد 1400 سنة فنذكر تطبيق أبي داود للسنة فنتعلم منه تطبيق السنة، فهذا من بركة العلم أنهم يعملون به، فلم يكن يسمع المعلومة ويرى أن تطبيقها مستحيلًا.

فثمرة العلم العمل، الخطيب البغدادي كان يقول: (من لم يكن بعلمه عاملًا لا يُعد عالمًا) وكان يقول: (لا تستأنس بالعلم إذا كنت مقصرًا في العمل) فأنت إذن تزيد حجج الله عليك إذا كنت مقصرًا في العمل، وإذا كنت مستوحشا من العلم تقوم بعبادات وأنت ليس لديك علم، فهذا خطر كبير وقد تقع في بدع وتصوّف، وأشياء أخرى لأنك تظن أنك داخل في سنة النبي - عليه الصلاة والسلام - وأنت لست في ذلك.

والأخطر من هذا كله أن أول من تُسَعّر بهم النار يوم القيامة، أناس عَلِموا فما عَمِلوا، فهم قبل الكفار وقبل المنافقين، أخذوا القرآن وأخذوا الحديث فلم يعملوا به.

إذن من المهم أن تتعلم وتُحول العِلم مباشرة إلى عَمل، وكان بعض السلف يقول: (أخشى ألّا تبقى آية في كتاب الله إلا وتسألني فريضتها إن كانت آمرة هل ائتمرت وإن كانت زاجرة هل انتهيت) فكل آية في كتاب الله إما أن تأمر وإما أن تنهى ووظيفتنا نحن حينما نقرأ القرآن أن نتعلم بذلك.

أختم بهذه الحادثة لأبي بكر النشهلي، كان في سياق الموت - يحتضر - يومئ برأسه يصلي، فقال له من حوله: (سبحان الله وأنت على هذه الحال، قال: أبادر طي صحيفتي). هي الآن تغلق الصحيفة فما هو شعورك وماذا تريد أن تعمل؟ فتخيل كيف تريد طي صحائفك من العمل؟ هذا قدّر له أن ينازع فيعلم أنه سيموت، لكن كيف لو كانت فجأة مثل العشرات من الشباب والشابات الذين فقدناهم الأسابيع الماضية؟

ولا ترجي فعل الخير يومًا إلى غدٍ لعل غدٍ يأتي وأنت فقيد

أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يعلمون العلم فيعملون به، وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، و أن يجعل هذا العلم خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها